الرسالة

(١ كورنثوس ٦: ١٢–٢٠)

يا إخوةُ كلُّ شيءٍ مباحٌ لي ولكن ليسَ كلُّ شيءٍ يوافِق* كلُّ شيءٍ مُباحٌ لي ولكن لا يَتسلَّطُ عليَّ شيءٌ* إنَّ الأطعِمةَ للجوفِ والجوفَ للأطعِمَةِ وسَيُبيدُ اللهُ هذا وتِلك. أمَّا الجَسَدُ فليسَ للزنى بل للربِّ والربُّ للجَسَد* واللهُ قد أقامَ الربَّ وسيُقيمُنا نحنُ أيضًا بقُوَّتِه* أمَا تعلَمون أنَّ أجسادَكم هي أعضاءُ المسيح. أفآخذُ أعضاءَ المسيحِ وأجعَلُها أعضاءَ زانية. حاشى* أمَا تعلَمون أنَّ مَن اقتَرَن بزانيةٍ يَصيرُ معها جسدًا واحدًا. لأنَّهُ قد قيلَ يصيرانِ كِلاهُما جَسَدًا واحدًا* أمَّا الذي يَقتَرِنُ بالربِّ فيكونُ معهُ روحًا واحدًا* أُهرُبوا من الزِّنى. فإنَّ كُلَّ خطيئةٍ يفعَلُها الإنسانُ هي في خارجِ الجسد. أمَّا الزاني فإنَّهُ يُخطئُ إلى جَسدِهِ* أم ألستُم تَعلَمونَ أنَّ أجسادَكم هي هيكلُ الروحِ القدُسِ الذي فيكم الذي نِلتموهُ منَ الله وأنَّكم لستُم لأنفُسِكم* لأنَّكم قد اشتُريتم بثمنٍ فمجِّدوا

التوبة

«الآن انا افرح لا لأنكم حزنتم بل لأنكم حزنتم للتوبة. لأنكم حزنتم بحسب مشيئة الله ...، لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله يُنشئُ توبة لخلاص بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشئ موتًا» (٢ كو ٧:٩ و ١٠).

علمتنا الكنيسة الأحد الماضي ان **التواضع** هو أحد الأسس الرئيسية لعودتنا إلى الملكوت. ولكي يأتي صومنا المقبل بثماره، ها هي اليوم تعرض من خلال مَثَل الابن الضال، الركيزة الثانية لخلاصنا وهي **التوبة**. والتوبة بحسب انجيل اليوم تقوم على وعي الإنسان لخطيئته، ثم القرار الواضح بالعودة عن الخطأ، طلب معونة الله والخضوع لإرادته، ثم العودة فعليًا، أي تنفيذ القرار.

المزمور الخمسون «ارحمني يا الله كعظيم رحمتك» يعرض لنا صورة واضحة للتوبة. هذا المزمور كتبه الملك داود في العهد القديم تعبيرًا عن توبته كخاطئ، وفيه شرحٌ وافٍ عن حالة داود الخاطئ النفسية بعد تأنيب النبي ناثان له على خطيئته الكبرى. وكان داود (٢صمو١١و١٢) قد ارتكب الزنى مع

العدد ٢٠٠٣/٨

الأحد ٢٣ شباط

أحد الإبن الشاطر

تذكار الشهيد في الكهنة بوليكربوس أسقف أزمير

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

بتشبع زوجة اوريّا الحثّي فحبلت منه. ولما علم داود بحبلها ارسل زوجها اوريا إلى الحرب، ووضعه في الصفوف الأمامية لكي يُقتل. مات اوريا واتخذ داود بتشبع امرأة له، «وأما الأمر الذي فعله داود فقبُحَ في عيني الرب» (٢صمو١١: ٢٧). ارسل الرب النبي ناثان إلى داود ووبّخه على فعلته، وأعلمه بقرب موت ولده. بعد موت الولد، وتعبيرًا عن توبته، كتب داود هذا المزمور الذي يطلب فيه من الرب أن يغفر إثمه الكبير. يعرض المزمور لعمق الشر الذي قد يكمن في القلب البشري، والثقة بخلاص الله وغفرانه والمصالحة معه، انطلاقًا من الخبرة التي عاشها.

+ وعي الخطيئة:

تبدأ التوبة الحقيقية مع وعي الانسان للخطأ الذي ارتكبه ومفاعيل هذا الخطأ. داود أقر بخطيئته وبالضرر الذي الحقه بأوريّا وبضرورة احقاق العدالة الإلهية: «فإني أنا عارفٌ بإثمي وخطيئتي أمامي في كل حين. إليك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت، لكي تصدق في أقوالك وتغلب في محاكمتك» (مز ٥٠: ٣ و ٤). تعكس كلماته هذه معرفة حقيقية بما فعل،

مع جهوزية وإرادة للتغيير. النبي أيوب في العهد القديم يتضرع إلى الله أن يعرِّفه ما فعل لكي يتوب: «ما لم أبصره فأَرنيه أنت. إن كنتُ قد فعلتُ إثمًا فلا أعود أفعله» (أي ٣٤: ٣٢). في النهاية يتوقف أيوب عن اتهام الله عن آلامه (أي٤٠: ٣-٥)، ويعترف صراحة أنه تكلّم عن غير حق عن الله ويعلن توبته عما صدر عنه ويطلب القضاء الحق: «فمن ذا الذي يخفي القضاء بلا معرفة ولكني قد نطقت بما لم أفهم. بعجائب فوقي لم أعرفها ... لذلك أرفض وأندم في التراب والرماد»(أي٤٢: ٣-٦). الإبن الشاطر لم يبدأ توبته إلا حين «رجع إلى نفسه» (لو١٥:١٧). إذًا، وعي الخطيئة والاقرار بها أمران أساسيان للتوبة بحسب الكتاب المقدّس.

+ طلب الغفران بحزن صادق:

وعي الخطيئة يقودنا إلى السعي الصادق والجاد وراء الغفران والتطهير. لقد كان داود ملحاحًا في طلبه المسامحة والرحمة: «ارحمني يا الله كعظيم رحمتك، وكمثل كثرة رأفتك امحُ مآثمي، اغسلني كثيرًا من إثمي ومن خطيئتي طهّرني ... إصرف وجهك عن خطاياي وامحُ كل مآثمي» (مز ٥٠: ١، ٢، ٩).

إضافة إلى الصلاة هناك الدموع، لبس المسوح، مَسْح الرأس بالرماد، والصوم. كل هذه تعبّر عن رغبة صادقة بالعودة إلى حضن الآب. هناك الكثير من الأحداث في العهد القديم حيث الأفراد كما الشعب بأكمله يصومون ويلبسون المسوح ويضعون الرماد على الجباه تعبيرًا عن التوبة. هكذا فعل أهل نينوى بعدما بشّرهم يونان (يونان ٣ : ٥) ودانيال النبي عندما أعلن التوبة بالنيابة عن الشعب (دا ٩ : ٣). هذه الأفعال التي تشير إلى الحزن تعبِّر عن رغبة صادقة في طلب الغفران.

+ سعي متجدد وراء الله:

الصدق والجدية صفتان ملازمتان لإولئك التائبين الراغبين في اختبار حضرة الله ومحبته: «إني كل من أُحبُّه أُوبِّخه وأُؤدبّه. فكن غيورًا وتُب. هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحدٌ صوتي وفتح الباب أدخُل إليه وأتعشى معه وهو معي»(رؤ ٣: ١٩-٢٠). هكذا تضرع داود إلى الله: «لا تطرحني من أمام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني. امنحني بهجة خلاصك» (مز ٥٠: ١١و١٢). والنبي ارميا يشدد التائبين ويقول لهم: «هكذا قال الرب: ان رجعتَ أُرجِعك فتقف أمامي» (إر ١٥: ١٩). والرب يسوع يقول: «هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارًا لا يحتاجون إلى توبة» (لو ١٥: ٧). المهم أن يكون لدى الإنسان هذا السعي لكي يعود إلى حضن الآب، إلى حضرته. بعد أن يعيَ الإنسان خطيئته، ويكتشف الحالة المزرية التي وصل إليها، ويكتشف ما فقده من نعمة في حضرة الله، عليه أن يأخذ قراره الجدي والصادق. هكذا كانت حال الإبن الشاطر: «فرجع إلى نفسه وقال كم من أجير لأبي يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعًا. أقوم وأذهب إلى أبي» (لو ١٥: ١٧-١٨). إذًا، السعي وراء الله يجب أن يقترن بقرار صارم.

+ تغيير منهج الحياة:

القرار الحازم والواعي في العودة عن الخطأ يجب أن يُترجم في خطوتين مهمتين. الأولى هي الإعتراف أمام الملأ وإعلان الانسحاق والرغبة بالعودة. «أقوم وأذهب إلى أبي وأقول له يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك ... فقام وجاء إلى أبيه ... فقال له الإبن: يا أبي أخطأت إلى السماء وقدامك الله في أجسادِكم وفي أرواحِكم التي هي لله.

الإنجيل

(لوقا ١٥: ١١-٣٢)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ كان لهُ إبنان* فقالَ أصغرُهما لأبيهِ يا أبتِ أعطِني النصيبَ الذي يخُصُّني من المال. فقَسَمَ بينهما معيشَتَهُ* وبعد أيام غيرِ كثيرةٍ جَمَعَ الإبنُ الأصغرُ كلَّ شيءٍ لهُ وسافرَ إلى بلدٍ بعيدٍ وبذَّرَ مالهُ هناك عائشًا في الخلاعة* فلمَّا أنْفَقَ كلَّ شيءٍ لهُ حدثَتْ في ذلكَ البلدِ مجاعةٌ شديدةٌ فأخذَ في العَوَزِ* فذهبَ وانضوى إلى واحدٍ من أهلِ ذلك البلد فأرسلَهُ إلى حقولهِ يرعى خنازير* وكان يشتهي أن يملأَ بطنهُ من الخرنوبِ الذي كانتِ الخنازيرُ تأكلُهُ فلم يُعطِهِ أحدٌ* فرجعَ إلى نفسِهِ وقالَ كم لأبي من أجراءَ يفْضُلُ عنهمُ الخبزُ وأنا أهلِكُ جوعًا* أقوم وأمضي إلى أبي وأقولُ لهُ يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك. ولستُ مستحقًّا بعدُ أن أُدعَى لك ابنًا فاجعَلْني كأحدِ أُجَرائِك* فقامَ وجاءَ إلى أبيهِ. وفيما هو بعدُ غيرُ بعيدٍ رآهُ أبوهُ فتحنَّنَ عليهِ وأسرعَ وألقى بنفسهِ على عنقهِ وقبَّلَهُ* فقال لهُ الإبنُ يا أبتِ قد أخطأتُ إلى السماءِ وأمامك ولست مستحِقًّا بعدُ أن أُدعى لك ابنًا* فقال الأبُ لعبيدِهِ هاتوا الحلَّة الأولى وألبِسوهُ

واجعلوا خاتَمًا في يدهِ وحِذاءً في رجليهِ* وأتوا بالعِجْلِ المسمَّن واذبحوهُ فنأكُلَ ونفرَحَ* لأنَّ ابنيَ هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوُجد. فطفِقوا يفرحون* وكان ابنُهُ الأكبرُ في الحقل. فلمَّا أتى وقَرُبَ من البيتِ سمعَ أصواتَ الغِناءِ والرقص* فدعا أحد الغِلمانِ وسأَلَهُ ما هذا* فقال لهُ قد قدِمَ أخوك فذبحَ أبوك العجلَ المسمَّنَ لأنَّهُ لقيَهُ سالمًا* فغضبَ ولم يُرِدْ أن يَدْخلَ. فخرجَ أبوهُ وطفِقَ يتوسَّلُ إليهِ* فأجاب وقالَ لأبيهِ كم لي منَ السنينَ أخْدِمُكَ ولم أتَعَدَّ لك وصيَّةً قطُّ وأنت لم تُعطِني قطُّ جَدْيًا لأفرحَ معَ أصدقائي* ولمَّا جاءَ ابنُكَ هذا الذي أكلَ معيشَتَك معَ الزواني ذبحتَ لهُ العجلَ المسمَّن* فقال لهُ يا ابني أنت معي في كلِّ حين وكلُّ ما هو لي فهو لك* ولكن كان ينبغي أن نفرَحَ ونُسَرَّ لأنَّ أخاك هذا كان ميِّتًا فعاشَ وكان ضالاً فوُجد.

تأمل

«كلّ شيء مباح لي ولكن ليس كلّ شيء يوافق. كلّ شيء مباح لي ولكن لا يتسلّط عليّ شيء» (١كو ١٢:٦). يشير الرسول هنا إلى الشراهة، وفي ذهنه أيضًا محاربة الزنى. ونعلم أن الزنى يأتي من التنعّم وعدم الإعتدال في الحياة، من هنا إدانته هذا الهوى بشدّة. لا يتكلّم هنا عمّا هو ولست مستحقًا بعد أن أُدعى لك ابنًا» (لو١٥:١٨-٢١). الاعتراف أمام الجميع أو أمام الكاهن يجعلك ترى الخطأ الذي ارتكبته بعين الآخر، أي أنك تفكر في ما يفكرون هم، وبالتالي تعي أكثر بشاعة خطيئتك والحاجة إلى تغيير تصرفاتك.

الخطوة العملية الثانية هي الترجمة الفعلية لتوبتك بتغيير تصرفاتك جذريًا. في التوبة ليس هناك «نص نص». الخطيئة يجب أن تستأصلها من جذورها، كما يفعل المزارع بالغصن الذي لا يأتي بثمر. وقت تقليم الأشجار يقص الأغصان غير المثمرة على أمل أن تنبت مكانها أغصان مثمرة. المزارع يعمل عمله والباقي يتركه على الله. هكذا الإنسان التائب يقطع الخطيئة التي ارتكبها ويتكل على الله ويسير في حياته. هذا لا يعني انه لن يخطئ في المستقبل، المهم أن يحاول بكل صدق، مع الله ومع نفسه، أن لا يخطأ. والرب الذي قَبِلَ الإبن الضال سوف يقبله.

لا بد من ملاحظة للذين يقولون: طالما يقبل الله الإنسان الخاطئ فلماذا نخاف؟ نخاف لأنه قد يأتي السارق في نصف الليل، يأتي الديّان العادل ونكون غير تائبين وغير مستعدين، فهل نملك الجواب الحسن أمام منبره الرهيب؟ والرب يُسَرُّ بالنيَّات، فإذا كانت نيَّتك مستهترة فلن تجد الرب منتظرًا إياك كما كان منتظرًا عودة الإبن الضال.

مدخل إلى رسالة يعقوب

رسالة يعقوب هي الرسالة الأولى من المجموعة المسماة الرسائل الجامعة (يعقوب، بطرس الأولى والثانية، يوحنا الأولى والثانية والثالثة، يهوذا)، كونها غير موجّهة إلى كنيسة معينة أو إلى شخص معين، بل هي موجّهة إلى المسيحيين ككل. وهذا يظهر من مداخل هذه الرسائل، باستثناء رسالتي يوحنا الثانية والثالثة. مثلاً في رسالة يعقوب يتوجه الكاتب بالسلام «إلى الإثني عشر سبطًا الذين في الشتات» (١: ١).

+ الكاتب:

إنه بحسب التقليد يعقوب أخو الرب الذي كان أول أسقف على أورشليم.

+ خلفية الرسالة:

يتوجه يعقوب إلى المسيحيين المشتتين في العالم (١:١)، ومع أن الآية الأولى تفترض أن يكون الكاتب والذين تتوجه إليهم الرسالة مسيحيين من أصل يهودي، إلاّ أن تعليم الرسالة ليس يهوديًا حصريًا وليس موجهًا لليهود فقط، بل إنه تعليم أخلاقي يطبَّق على اليهود وعلى الأمميين أيضًا. لذلك فإن الذين تتوجه إليهم الرسالة هم المسيحيون، في أي مكان، الذين يحتاجون إلى تعليمات أخلاقية في عيشهم الحياة المسيحية العملية.

من هنا يتوجه يعقوب إلى جميع المسيحيين الذين يدّعون الإيمان ولكنهم لا يعملون بموجبه (٢:١٤-٢٦)، والذين يتحيّزون للأغنياء (٢:١-٧)، والذين يلومون الله على تجاربهم (١:١٣)، والذين يفشلون في ضبط ألسنتهم (٣:٢-١٢)، والذين ينقادون للحسد والخصومات (٤:١-٣) ... .

كل هذه التصرفات والأفعال تعطي مظهرًا كاذبًا للديانة الحقة. لذلك يحث الكاتب المسيحيين على الثبات في الديانة النقية حيث الإيمان والتصرف، والأقوال والأفعال تشكل وحدة متكاملة.

+ تعليم الرسالة:

– نقطة الانطلاق والفكرة الأساسية في الرسالة هي الحكمة «النازلة من فوق» (١:١٧؛٣:١٥، ١٧)، التي تعطى للمسيحيين في المعمودية على أنها «كلمة الحق» المخلِّصة (١:١٨)، وتضعهم في وضع العيش وفق مشيئة الله المعلَنَة في الناموس.

– هذه الحكمة «النازلة من فوق» هي عطية الله التي تجدد الإنسان وتمكّنه من التعبير عن إيمانه بالأعمال وهكذا يقف بارًا أمام الله. هذه العطية تبلغ غايتها في وحدة الإنسان وكماله (١:٢ – ٤؛ ٣: ٢، ١٣ –١٨)، وعلى الإنسان أن يتخطى الانقسام في طبيعته البشرية (١:٨؛ ٤:٨) ليصبح شخصًا كاملاً من جديد، في وحدة مع ذاته، وفي وحدة بين كلامه وأعماله.

– الانقسام في نفس الإنسان سببه الريبة أو الشك (١:٦)، والفصل بين الكلام والعمل (١:٢٢–٢٧)، وإساءة استعمال اللسان (٣:٨–١٢)، ومحبة العالم (٤:٤)، وازدراء مشيئة الله (٢:١–١٣؛ ٥:١–١١) ، والحروب والخصومات الدائمة (٤:١–٣)، والخلط بين «النعم» و«اللا» (٥:١٢). هذا الانقسام في حياة الإنسان ناتج عن شهوته الشريرة (١:١٤–١٥؛ ٤:١–٢)، وهي تؤدي إلى الخطيئة فالموت (١:١٥). ونتيجة هذه الشهوة يسعى الإنسان نحو مصالحه ولا يتصرف بلياقة مع إخوته المسيحيين. ويُرجع يعقوب كل هذه التصرفات الناتجة عن الإنقسام في الإنسان إلى الحكمة «الأرضية النفسانية الشيطانية».

– بالنسبة ليعقوب، يستطيع الإنسان أن يتخطى حالة الإنقسام هذه بالإيمان الذي يشكّل وحدة مع عطية الحكمة، والذي يظهر من خلال الأعمال التي هي تطبيق «للناموس الملوكي» (٢:٨)، «للناموس الكامل ناموس الحرية» (١:٢٥؛ ٢:١٢). وبما أن المحبة هي غاية الناموس وقلبه (٢:٨) فهناك وحدة بين الحكمة المعطاة من الله والإيمان والأعمال. فبهذه الحكمة والإيمان يستطيع الإنسان الوصول إلى الكمال من خلال تطبيق الناموس ووصية المحبة.

– ليس هناك تعارض بين الإيمان والأعمال، لأنهما وجهان لعملة واحدة. ويشدد يعقوب على وحدة الإيمان والأعمال (٢ : ٢٢)، إذ إنهما يعملان معًا، فيصل الإيمان إلى كمال فعله. والإيمان الكامل يؤدي إلى التبرير أمام الله. إلاّ أن الإيمان يبقى هو الأساس وله الأولوية على الأعمال. المهم هو الإيمان الذي يبرِّر، الإيمان الذي يجلب الأعمال والذي يكمِّل بالأعمال.

– في المعمودية يزرع الله «كلمة الحق» في الإنسان (١:١٨)، هذه الكلمة التي هي ناموس الحرية الكامل (١: ٢٥). وعلى الإنسان أن يكون عاملاً بهذه الكلمة وليس سامعًا لها فقط (١:٢١). وحدة السماع والعمل تجد مصدرها في مشيئة الله وتتوافق مع الكمال الذي أصبح مستطاعًا للمسيحي.

– هذا السعي نحو الكمال لا يقتصر على الإنسان نفسه ولكنه يترجم في العلاقة بين أعضاء الجماعة المسيحيين: «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلاّت وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا. طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها» (٥:١٦).

– على الإنسان أن يكون رحيمًا لأن الله «كثير الرحمة ورؤوف» (٥:١١)، وكما ينتظر الفلاح ثمر الأرض، على المسيحيين أن يتأنوا بعضهم على بعض «إلى مجيء الرب» (٥:٧)، وأن «لا يئن بعضكم على بعض أيها الإخوة لئلا تدانوا» (٥:٩).

محرّم بل عمّا هو طبيعي. يحلّ لي أن آكل وأشرب، ولكن لا يوافقني الإفراط في ذلك. وكعادته، يتّجه الرسول نحو الأمر المعاكس مضيفًا: ما يحقّ لي لا يوافق من جهة، بل بإمكانه أيضًا من جهة أخرى أن يصبح عبودية. الحجة الأولى أنه لا يوافق، والثانية هي: إني لا أسمح لأي شيء أن يتسلّط عليّ. بعبارة أخرى: يحقُّ لك أن تأكل، لكن ابقَ سيّدًا على طعامك. انتبه ألاّ تصبح عبدًا لهذا الهوى (**أي الشراهة**). من يستخدم هذا الحق كما يجب يكون سيّدًا عليه، في حين أن من يُفرِط في استخدام هذا الحق لا يبقى سيّدًا عليه، بل يصبح عبدًا له لأن الشراهة تكون قد استولت على نفسه. فانظر كيف أن الإنسان الذي يظنّ أنه يستخدم حقًا له يكون قد سقط في العبودية. هذا ما يقوله الرسول بولس.

لاحظ من جهة ثانية ما يلي: يقول الواحد لي الحق في أن أتمتّع ببعض الملذّات. فيجيب الرسول أنت لا تفعل ذلك وأنت سيّد على لذّتك بل تكون عبدًا لها. بما أنك عبد لشهوتك، فأنت غير متسلّط على بطنك، بل هذا الأخير هو المتسلّط عليك. هذا الأمر يمكن تطبيقه على المال وعلى كلّ شهوة أخرى.

القديس يوحنا الذهبي الفم